

المحاضرة الثالثة: نشأة سوسيولوجيا الفن وأهم مراحل ظهورها

1) التاريخ الاجتماعي والثقافي للفن:

إن علم اجتماع نما وتطور بسرعة خلال قرن ونصف من الزمن ويظهر هذا النمو أشد وضوحا فيما يتعلق بعلم اجتماع الفن.

وحتى نتمكن من فهم هذا الفرع من البحث نبين مجاله وموقع لا بد من إعادة تركيب تاريخه. كما يجب الإشارة إلى أن إحدى الصعوبات تواجه تعريف علم اجتماع الفن هي أن جذوره الأولى ليست موجودة في تاريخ علم الاجتماع العام، وإذا موجودة في تاريخ علم الجمال وفلسفة الفن.

ذلك وأن علماء الجمال وفلاسفة الفن كانوا يقومون بالمهمة المنوطة بهم وهي البحث في تاريخ الفنون، وبعد ذلك ظهر مجموعة من الفلاسفة أدخلوا الجانب الاجتماعي والثقافي في الفن. وقد بحث الفلاسفة والمفكرون قبل نشأة الاجتماع بالأساس في قضايا الفنون، وربطوها بالظواهر الاجتماعية وخاصة عندما انفصل الفن عن الحرف منذ ق 15 في أوروبا.

في هذا المجال قدم الباحثون الذي بحثوا في التاريخ الاجتماعي والثقافي للفن والفنون نتائج هامة حيث تناولوا الفنون من منظور التاريخ الاجتماعي.

2) الأجيال المعرفية:

1. جيل المالية الاجتماعية (الفن والمجتمع):

لقد ظهر علم اجتماع الفن على يد مختصين بعلم الجمال وتاريخ الفن، الذين كانوا مهتمين بالسعي إلى إجراء قطيعة واضحة مع التركيز مع ثنائية (فنانين/ أعمال فنية) بإدخال مصطلح ثالثا في دراسة الفن هو (المجتمع)، وبفضل هذه المجهودات ظهرت آفاق جديدة تفرع عنها تخصص علمي جديد.

فالاهتمام بالفن والمجتمع ظهر في علم الجمال وفلسفة الفن في وقت واحد في الفكر الماركسي وفي فكر مؤرخي الفن في أواخر القرن 19 وبداية ق 20.

ويعتبر جيل الجمالية الاجتماعية امتدادا للفلاسفة الذين امتلكوا فكرة حول التجديد الخارجي الجمالي والاحياء للفن مثل "هيوليت تين" فلسفة الفن 1865، و"شارل لالو" الفن واحياء الاجتماعية 1921.

ومع ظهور التراث الماركسي أصبحت مسألة الفن مع الفن الماركسي سوسيولوجية بشكل واضح حيث أن كارل ماركس سعى إلى فهم كيفية تشكيل الهياكل الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، فحسب رأي هذا الاتجاه يمكن استخدام الفن كأداة لفهم التغيرات الاجتماعية وتحليل الأعمال الفنية وفهم العلاقات الاجتماعية المحيطة بها. كذلك نجد فرانسيس كلينجندر في كتابه عام 1947 الذي بحث فيه عن العلاقة بين الإنتاج التصويري والثورة الصناعية التي بدأت منذ ق 18، حيث يرى أن الأعمال الفنية أسهمت في هذه الثورة أكثر مما كانت انعكاسا لها، أي أن الفنانين شاركوا في تلك الثورة.

كذلك نجد علماء مدرسة فرانكفورت الذين اقتربوا من سوسيولوجيا الفن عن طريق اهتمامهم بالعلاقات الموجودة بين الفن والحياة الاجتماعية لكن تم التقليل من أهمية الدور الاجتماعي وتنمين الثقافة والفرد ومن أبرز رواد هذا الاتجاه ثيودور أدورنو في كتابه فلسفة الموسيقى الجديدة إلى العالم "ماكس

موريكارمر" إذ يعتبران أول من استخدمتا مصطلح الصناعة الثقافية في عملهما المشترك بعنوان "ديالكثيك العقل" 1944.

2. جيل التاريخ الاجتماعي للفن (الفن الاجتماعي):

لقد سمح هذا التاريخ الاجتماعي للفن بإزالة سؤال المؤلفين وأعمالهم بصفة تقليدية نحو سؤال السياق الخاص بهم. لعق ظهر في بداية الحرب ع 2 جيل ثاني من صفوف مؤرخي الفن ومن ممارسة أكثر انخراطا في التجريبية التي كانت وتطورت خاصة في إيطاليا وبريطانيا حيث اعتمدوا على برنامج البحث الموثق الذي وضع الفن بشكل ملموس داخل المجتمع (أي السياق الاقتصادي والسياسي والثقافي الذي يسمح بإنتاج الأعمال الفنية). ومن أبرز علماء هذا الجيل فرانسيس هاسكيل، حيث قام عام 1963 في كتابه بتحليل دقيق لمختلف أنواع المتطلبات الخاصة بإنتاج الفن التصويري (مكان وجود اللوحة، حجمها، موضوعها، مواد الرسم، الألوان)

أما نيكولاس بفنز لر الذي يقول: "بدأت أدرك شيئا فشيئا أن تاريخ الفن يمكن تحوره والنظر إليه من خلال جملة العلاقات بين الفنان والعالم المحيط به، كما تحدث علماء الجيل الثاني على غرار عملية التلقي وال جماهير عن المنتجين، كما بحث هؤلاء العلماء في الحياة الخاصة بالفنانين وصفاتهم وخصائصهم العقلية والفنية والنفسية وأنماط تنشئتهم واتجاهاتهم وعقائدهم، فقد أصبح الجمهور في ثمانيات القرن 20 يحتل مكانة بارزة مع انتشار المعارض في المؤسسات الفنية، فمسألة التلقي هي الطريقة التي ينظر بها الناس إلى العمل الفني أو يسمعونه أو يقرأونه.